الفصل السابع
هل يجوز أن تُفسَّر الآيات القرآنية بالشِّعر؟!

سؤال يطرح نفسه: هل يجوز الاستعانة بالشِّعر في تفسير كتاب الله؟!

هناك خلاف في المسألة ، قال أبو بكر الأنباري رحمه الله تعالى: (قد جاء عن الصحابة والتابعين كثيراً الاحتجاج علىٰ غريب القرآن ومشكله بالشّعر ، وأنكر جماعة لا علم لهم علىٰ النحويين ذلك ، وقالوا: إذا فعلتم ذلك جعلتم الشعر أصلاً للقرآن ، وقالوا: وكيف يجوز أن يحتجّ بالشعر علىٰ القرآن ، وهو مذموم في القرآن والحديث؟

وللإجابة عن ذلك يقول: وليس الأمر كما زعموه من أنّا جعلنا الشعر أصلاً للقرآن ، بل أردنا تبيين الحرف الغريب من القرآن بالشعر ، لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾[1] .

ويقول: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[2] .

لكن هل يجوز الاستشهاد والاستعانة بأي نوع من أنواع الشعر لتفسير كتاب الله سبحانه؟

أبداً ، فهناك طبقات للشعراء ، فمنهم من يُحتجّ بأقوالهم ، ومنهم من لا يُحتج.

---

(١) الزخرف: ٣.
(٢) الشعراء: ١٩٥.

كما قال البغدادي: (الكلام الذي يُستشهد به نوعان: شعر وغيره، فقائل الأول، قد قسّمه العلماء علىٰ طبقات أربع:

الطبقة الأولى: الشعراء الجاهليون، وهم من كانوا قبل الإسلام، كامرئ القيس والأعشىٰ.

الطبقة الثانية: المخضرمون، وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، كلبيد، وحسان.

الطبقة الثالثة: المتقدمون، ويقال لهم الإسلاميون، وهم الذي كانوا في صدر الإسلام، كجرير والفرزدق.

الطبقة الرابعة: المولّدون، ويقال لهم المحدثون، وهم من بعدهم إلىٰ زماننا، كبشار بن برد وأبي نواس وغيرهم.

فالطبقتان الأوليان يستشهد بشعرهما إجماعاً، وأما الثالثة فالصحيح صحة الاستشهاد بكلامها.

وأما الرابعة: فالصحيح أنه لا يستشهد بكلامها مطلقاً، وقيل: يستشهد بكلام من يوثق به منهم، واختاره الزمخشري..)[1].

وتدلّ كتب التفاسير علىٰ أن أكثر واحدٍ من الصحابة قد اعتمد علىٰ الشعّر في حلّ غريب القرآن، ونذكر منهم ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن.

وروىٰ السيوطي وغيره قوله رضي الله عنه: (الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب، رجعنا إلىٰ ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه).

ورحم الله الإمام السيوطي فقد جمع مسائل تتعلق باعتماد الصحابة علىٰ تفسير القرآن بالشّعر، وأطلق عليها (مسائل نافع ابن الأزرق) وهي

---

(١) خزانة الأدب: ١/ ٣ ـ ٤/.

أسئلة قُدّمت إلىٰ ابن عباس ، فأجاب عليها مستشهداً بشعر العرب ، وتتجاوز (١٨٧) مسألة ، منها:

١ـ قال نافع لابن عباس: أخبرني عن قول الله تعالىٰ: ﴿أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾[١] فقال ابن عباس: الجدل: المخاصم في الباطل.

فقال نافع: وهل تعرف العرب ذلك؟

قال ابن عباس: أما سمعت قول مهلهل:

إن تحت الأحجار حزماً وجوداً وخصيماً ألدّ ذا مغلاقِ

٢ـ قال نافع: أخبرني عن قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾[٢].

قال ابن عباس: النقير: ما في شقّ النواة ، ومنه تنبت النخل.

قال نافع: وهل تعرف العرب ذلك؟

قال ابن عباس: أما سمعت قول الشاعر:

وليس الناس بعدك في نقير وليسوا غير أصداء وهامِ

٣ـ قال نافع لابن عباس:

أخبرني عن قوله تعالىٰ: ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾[٣].

قال ابن عباس: الوسيلة: الحاجة.

قال نافع: وهل تعرف العرب ذلك.

قال ابن عباس: نعم أما سمعت عنترة وهو يقول:

إن الرجال لهم إليك وسيلة إن يأخذوك تكحّلي وتخضّبي

٤ـ قال نافع: أخبرني عن قوله تعالىٰ: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾[٤].

---

(١) البقرة: ٢٠٤.
(٢) النساء: ١٢٤.
(٣) المائدة: ٣٥.
(٤) مريم: ١٣.

قال ابن عباس: رحمة من عندنا.

فقال نافع: وهل تعرف العرب ذلك؟

قال ابن عباس: نعم، أما سمعت طرفة بن العبد يقول:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشرّ أهون من بعضِ

٥ـ **قال نافع**: أخبرني عن قوله تعالىٰ: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾[١].

قال ابن عباس: سلّطنا.

قال نافع: وهل تعرف العرب ذلك؟

قال ابن عباس: أما سمعت قول لبيد:

إن يغبطوا يهبطوا وإن أمروا يوماً يصيروا للهُلك والنَّفَدِ

٦ـ **قال نافع**: أخبرني عن قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾[٢].

قال ابن عباس: السفينة الموقورة.

قال نافع: وهل تعرف العرب ذلك؟

قال ابن عباس: نعم، أما سمعت قول عبيد بن الأبرص:

شحنّا أرضهم بالخيل حتىٰ تركناهم أذل من الصراطِ

٧ـ **قال نافع**: أخبرني عن قوله تعالىٰ: ﴿وَدُسُرٍ﴾[٣].

قال ابن عباس: الدسر: الذي تخرز به السفينة.

قال نافع: وهل تعرف العرب ذلك؟

قال ابن عباس: أما سمعت قول الشاعر:

سفينة نُوتيٍّ قد أحْكِمَ صنعها منحّتة الألواح منسوجة الدسْرِ

---

(١) الإسراء: ١٦.

(٢) الشعراء: ١١٩.

(٣) القمر: ١٣.

٨ـ **قال نافع**: أخبرني عن قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾[١].

قال ابن عباس: غير منقوص.

قال نافع: وهل تعرف العرب ذلك؟

قال ابن عباس: أما سمعت قول زهير:

فضل الجواد علىٰ الخيل البطاء فلا
يعطي بذلك ممنوناً ولا نزقا

إلىٰ غير ذلك من بقية المسائل التي استشهد ابن عباس في إجاباته عنها بأبيات من الشعر[٢].

* * *

(١) القلم: ٣.

(٢) للتوسع يراجع: الإتقان في علوم القرآن: ١/ ١٧٥ ـ ١٩٠.